<u>٣٠ سنة بعد جمال عبد الناصر</u>

محاولة تقييم موضوعية للتجربة الناصرية

صبحي غندور*

مضت ثلاثة عقود على رحيل جمال عبد الناصر، ورغم ذلك، ما زال هذا الاسم يتردّد في كلّ بلدٍ عربي، وبين العرب أينما كانوا.

ولعلّ ذلك، في حدّ ذاته، شهادة لما قام به هذا القائد العربي الراحل في حقبة زمنية محدّدة من تاريخ هذه الأمّة.

لكنّ الحديث عن جمال عبد الناصر ليس دائما حديث ذكريات إيجابية أو سرد لسيرة بطل تاريخي، بل نجد الحديث عن عبد الناصر في معظم الأحيان يتراوح بين حبّ العاشق الذي يرى الكمال في محبوبه، أو حديث الحاقد الذي يعمّم جزئية سلبية على كلّ الصورة، فلا يرى إلاّ السواد والظلم والظلام. فالحبّ الشديد والحقد الشديد كلاهما يتساويان في تسبّب غشاوة البصر وأحياناً في الإصابة بالعمى.

ولا أعلم إلى أي مدى سأكون قادراً على رؤية جمال عبد الناصر بعينٍ موضوعية مجردة عن العواطف والمشاعر، وهو كان بالنسبة لي، كما لعشرات الملايين من العرب، قائداً ورمزاً وبطلاً قوميا أعتزّ بالانتماء إلى مرحلته وإلى ما طرحه من أهداف وغايات.

لكن جمال عبد الناصر لم يكن قائداً عربياً فقط، بل كان أيضاً حاكماً ورئيساً لشعب مصر. فبينما عرفه العرب غير المصريين بدوره كقائد تحرر قومي، عرفه شعب مصر إضافة إلى ذلك كحاكم يحكم من خلال أجهزة وأشخاص، فيهم وعليهم الكثير من الملاحظات والسلبيات.

بدايةً أريد التأكيد أنّ <u>الناصرية</u> هي كلمة رفض عبد الناصر نفسه استعمالها. وقد استخدمت "الناصرية" للتعبير عن تيّار شعبي عربي مناصر ومؤيد لناصر، كالقول (الديغوليين في فرنسا)، وليس تسمية لعقيدة أيديولوجية شاملة. ولعلّ أفضل الحالات المشابهة والمعاصرة أيضا لحالة عبد الناصر هي:

أولا: حالة المهاتما غاندي في الهند (الذي قاد الأمّة الواحدة المحتلّة من الإنكليز).

ثانياً: حالة ماوتسي تونغ في الصين (الذي قاد الأمّة الواحدة المحتلّة من اليابان).

ففي هاتين الحالتين ظهرت قيادة واعية مخلصة لأمّتها وطرحت أفكاراً من وحي ثقافة أمّتها وحضارتها وأضافت أبعاداً فكرية خاصة بحكم التجربة العملية، ومارست أساليب عمل متعددة (فيها إيجابيات وسلبيات).

وكما كان مستحيلاً وجود رأي حيادي في الصين تجاه ماوتسي تونغ، وفي الهند تجاه غاندي، كذلك الأمر عربياً تجاه ناصر، يستحيل الحياد والموضوعية المجردة.

ومن الطبيعي أن يكون لكلّ فكرة أو عمل من يستفيد ومن يتضرّر منهما .. حتى الرسالات السماوية كان هناك من هم معها، ومن هم ضدّها وحاربوها.

وحسب اعتقادي، فان جملة ضوابط تحكم أي تقييم لتجربة جمال عبد الناصر:

<u>أولاً</u> : لن يستطيع أيّ إنسان عربي أن ينظر إلى تجربة ناصر من موقع الحياد الموضوعي المجرّد.

لكن يمكن النظرة إلى هذه التجربة من أحد أربعة مواقع:

١ – الحقد الأعمى: الذي لا يرى أية إيجابيات، ويأخذ الكلّ بجريرة الجزء الصغير، وقد يكون دافعه: فكري/سياسي/حزبي/مصلحي خاص..

٢– الحبّ الأعمى: الذي لا يرى سلبيات أو يضع الملامة كلها على "الآخر"، ولا يجد أية مشكلة ب "الذات".

٣– الاختلاف الموضوعي: وهو الرأي الذي يُسلّم بوجود "الشكلين في الصورة الواحدة" – كالرسومات المستخدمة في علم النفس– لكنه ينظر إلى الشكل السلبي معظم الأوقات.

٤– التوافق أو التأييد الموضوعي (وهو ما سأحاول أن أنطلق منه): والذي يسلّم بوجود "شكلين في صورة واحدة" فيفصل بينهما ويجعلهما صورتين، ويعطي لكلّ واحدة منهما حجمها الحقيقي، إذ لا يصح المساواة بين الشكلين.

ثانياً : لم نكن –كعرب–في فترة عبد الناصر (ولسنا كذلك الآن طبعاً) نعيش في ظلّ دولة واحدة، كما كان الأمر في حالة غاندي بالهند أو ماوتسي تونغ في الصين أو ديغول في فرنسا، ليكون الفرز على أساس المتضرّر والمستفيد (داخل الأمة/الوطن) من وجود طروحات وأعمال هؤلاء القادة التاريخيين ..

بل أيضا كنّا عربياً (وما زلنا) ننتمي إلى أمّةٍ واحدة لكن في إطار دول وحكومات متعدّدة، وأثر ذلك كبير جدا على فهم تجربة عبد الناصر. فهو كان لعموم العرب قائدا تاريخياً وبطلاً تحرّرياً، لكنّه أيضاً كان للشعب المصري حاكماً ورئيسا .. والحاكم يعني حكومة وبيروقراطية وأجهزة وإجراءات ..إلخ. وليس فقط مواقف وأفكار قومية وتحررية..

أيضاً، فان قيادة عبد الناصر للأمة العربية كانت قيادة معنوية وغير مباشرة، مما أدى إلى صراع مع العديد من الحكومات العربية التي تضررت من مواقف وسياسات معينة خلال الحقبة الناصرية.

ثالثاً : يكفي شهادة لمدى شعبية عبد الناصر في المنطقة العربية ما حدث في مناسبتين: يوم استقالته بعد حرب ٦٧ (٩ و١٠ يونيو/حزيران)، ويوم وفاته في ٢٨ سبتمبر/أيلول ١٩٧٠، حيث خرجت الجماهير العربية إلى الشوارع، من المحيط إلى الخليج، وبدون دعوة من أيّ جهة، لتؤكد تأييدها وحبّها الجارف لجمال عبد الناصر.

سأحاول في هذا التقييم الموجز لتجربة عبد الناصر "الفصل بين الشكلين في الصورة الواحدة" والتعامل معهما من حيث محاولة فهم أسباب وجود كل "شكل" أكثر من الاكتفاء بتعظيمه أو لعنته:

ظروف التجربة الناصرية

يمكن اختصار الظروف التي مرت بها التجربة الناصرية من خلال الآتي:

- هناك بداية تأسيسية غير مكتملة وغير موحدة لتجربة جمال عبد الناصر. فقد قامت ثورة ٢٣ يوليو بواسطة جبهة "الضباط الأحرار" وليس من خلال حزب أو تنظيم موحد الفكر وأسلوب العمل، وباعتماد على أسلوب التجربة والخطأ في تطوير النظام السياسي والاجتماعي.
- هناك ظروف داخلية وخارجية محيطة بالتجربة: تجزئة عربية وتعامل مع الساحة العربية أما من خلال الحكومات أو أجهزة المخابرات المصرية، وحرب باردة بين الكبار لكنها ساخنة جداً في دول العالم الثالث، حيث تركت هذه الحرب الباردة بصماتها على كل المعارك التي خاضها عبد الناصر وعلى كل مراحل التجربة.
- هناك عمر زمني محدّد لهذه التجربة (لا أقصد طبعا الإنجازات المادية المستمرة الآن): بداية في العام (١٩٥٢) ونهاية في العام (١٩٧٠)، وهذه الفترة الزمنية (١٨ سنة) هي أقل بكثير مما قضاه عدة حكام عرب، ماضياً وحاضراً.
- هناك مراحل مرّت فيها هذه التجربة، وكان لكلّ منها سمة خاصة بها:

- مرحلة التحرر الوطني (٥٢-٥٦): التي رافقها تشكيل تنظيم "هيئة التحرير" في مصر لمرحلة تحرير قناة السويس.
- مرحلة المد العروبي والتحرر القومي (٥٦-٦١): التي رافقها تشكيل تنظيم "الاتحاد القومي" لمرحلة الوحدة مع سوريا، وسياسة عدم الانحياز وثورات الجزائر والعراق ولبنان.
- مرحلة الفرز الاجتماعي (٦١-٦٧): التي رافقها تشكيل "الاتحاد الاشتراكي" المتزامن مع مرحلة الطرح الاشتراكي الذي بدأ مع قرارات يوليو/تموز ١٩٦١ الاشتراكية.
- مرحلة التضامن العربي والمواجهة مع إسرائيل: من مؤتمر الخرطوم(٦٧) إلى اجتماعات القاهرة لوقف مجازر الأردن(٧٠)، وهي مرحلة النضوج الفكري والسياسي لتجربة عبد الناصر، والبناء الداخلي السليم والعلاقات العربية التضامنية. وأهم مميزات هذه المرحلة: أولوية المعركة مع إسرائيل-أولوية التضامن العربي- أولوية البناء الداخلي السليم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً (بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨) - رفض الوحدة الاندماجية الفورية مع السودان وليبيا لعدم تكرار أخطاء تجربة الوحدة مع سورية، ورفض الانجرار إلى صراعات عربية "تأخذ من المعركة مع إسرائيل ولا تعطيها"، كما قال عبد الناصر.

لكن المشكلة بثورة ٢٣ يوليو أنّ ساحة حركتها وأهدافها كانت أكبر من حدود موقعها القانوني .. كانت قضاياها تمتدّ لكلّ الساحة العربية، وأيضا لمناطق أخرى في إفريقيا وآسيا .. بينما هي محصورة "قانونيا" في مصر.

والثورة تحولّت في مصر إلى أنظمة وقوانين، وكانت في ذلك تتعامل مع جانب محلي داخلي هو أساساً مبرّر حدوثها عام ٥٢ (المبادئ الستّة للثورة كانت كلّها محليّة مصرية).

وأعتقد إنّ "٢٣ يوليو" بدأت ثورة مصرية، ونضجت كثورة عربية، ثمّ ارتدّت إلى حدودها المصرية بعد وفاة ناصر.

أهداف التجربة الناصرية:

كما أشرت سابقاً، فان شعارات ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ (المبادئ الستّة) كانت كلها محلية خاصة بمصر ولم يكن فيها أي شعار عربي أو حتى خاص بالصراع العربيّ الصهيوني: ١- القضاء على الاستعمار وأعوانه في مصر. ٢- القضاء على الإقطاع. ٣- القضاء على الاحتكار. ٤- إقامة عدالة اجتماعية. ٥-إقامة جيش وطني قوي. ٦-إقامة ديموقراطية سليمة.

فلقد كان عبد الناصر قائداً تحرريا بالمجالين: الوطني المصري والقومي العربي، ولم يكن صاحب فلسفة خاصة أو نظرية فكرية متكاملة (هو نفسه أكّد ذلك في "الميثاق" وفي مناسبات أخرى). أيضاً، فان عبد الناصر كان يقف على أرضٍ فكرية محسوم فيها الجانب الديني (وما فيه من أبعادٍ فلسفية) والجانب القومي (وما فيه من تأكيدٍ للهوية العربية).

وقد طرح عبد الناصر مجموعة أهداف وغايات هي حصيلة واقع عربي عام (وأوضح معها أيضاً أساليب الوصول إليها)، وعلى قاعدة من الإيمان بالله ورسله ورسالاته السماوية، ودور الدين في المجتمع.

لذلك، يمكن القول أن فكر جمال عبد الناصر كان مزيجاً من أساسيات فكرية شخصية عنده عبّر عنها في مبادئ ٢٣ يوليو وفي كتاب "فلسفة الثورة" وفي خطبه بالخمسينات، ثمّ تبلورت حصيلة التجربة والخطأ في إعداد "الميثاق الوطني" وتقريره عام ١٩٦٢.

أيضاً، إنّ فكر جمال عبد الناصر تعزّز وتعمّق (بدعوةٍ منه أصلاً للمثقفين) من خلال كتابات ساهم بها مفكرون عرب، ومن مصر تحديداً، لبلورةٍ أكثر عمقاً لما وضعه عبد الناصر من خلاصات أهداف وغايات للأمّة العربية:

١- حرية بمعناها الشامل لحرية الوطن ولحرية المواطن.

٢- حرية المواطن بمعناها المركّب: الحرية السياسية والحرية الاجتماعية.
٣- العدل الاجتماعي الذي كان يُعبّر عنه كمطلب باسم الاشتراكية.
٤- الوحدة بمعناها الوطني الداخلي وبمعناها العربي الشامل، شرط الإجماع الشعبي عليها ورفض العنف كوسيلة لتحقيقها.
٥- الاستقلال القومي في مجال السياسة الخارجية ورفض التبعية الأجنبية.

وقد ارتبطت هذه الغايات لدى عبد الناصر بثلاث مسائل:
- الأولى: من حيث نبذ العنف كوسيلة للتغيير الاجتماعي أو السياسي أو للعمل الوحدوي القومي.
- الثانية: من حيث الاستناد إلى العمق الحضاري الإسلامي والدور الإيجابي للدين والقيم الروحية في المجتمع.
- الثالثة: من حيث مفهوم ناصر للدوائر الثلاث التي تنتمي مصر إليها: العربية والإفريقية والإسلامية، وبحالٍ من التفاعل والتكامل بين الوطنية والعروبة والانتماء الحضاري الإسلامي.

<u>سلبيات خلال التجربة الناصرية:</u>

لا شك أن عدة ظواهر سلبية رافقت التجربة الناصرية، منها:
- دور أجهزة المخابرات (داخلياً وخارجياً) في المجال غير الأمني المحدد لها أصلاً، حيث حلّت الأجهزة مكان العمل السياسي المنظم والسليم البنية فكرياً وأخلاقياً، ثم آثار ذلك أيضاً على تعطيل الممارسة الديمقراطية السليمة رغم وجود البرلمان في مصر.
- دور البيروقراطية الإدارية (مراكز القوى) التي حلّت مكان الكوادر والقيادات وأصحاب الكفاءات.
- وجود المشير عبد الحكيم عامر لفترة طويلة إلى جانب عبد الناصر (وكذلك أنور السادات) والتساؤلات عن موقف عامر خلال أزمة السويس عام ٥٦ ثم مسؤوليته عن أقليم سورية خلال الانفصال عام ٦١ ثم مسؤوليته عن نكسة ١٩٦٧.
- حرب اليمن وتفاعلاتها السلبية عربياً، وخسائر مصر فيها، ووجود الجيش المصري هناك خلال حرب عام ١٩٦٧.
- الدور الفكري السلبي للمجموعات الماركسية داخل "الاتحاد الاشتراكي" و"التنظيم الطليعي"، خاصة بعد تعمق العلاقة المصرية-السوفياتية.

***

<u>ملخص التقييم</u>

______١ النظر إلى حقبة عبد الناصر في إطار الأوضاع التي كانت سائدة مصرياً وعربياً ودولياً وفي إطار الظروف الدولية التي كانت سائدة (الحرب الباردة وصراع المعسكريْن)، وفي إطار طبيعة النظام السياسي الذي قام على جبهة ضباط وليس على تنظيم سياسي موحّد الانتماء والفكر والأهداف، علماً أن معظم "الضباط الأحرار" كان في مطلع الثلاثينات من العمر. فناصر قاد الثورة وله من العمر ٣٤ سنة، وواجه أزمة السويس والعدوان الثلاثي وهو في عمر ال٣٨ سنة، وكان رئيساً لمصر وسورية معاً وزعيماً عربياً ودولياً وهو في عمر الأربعين.

______٢: مقارنة الحقبة الناصرية (١٨ عاماً) مع ما تلاها في أكثر من بلد عربي.. ومقارنة إنجازات حكم أكثر من زعيم عربي في المدة الزمنية نفسها.

______٣: التساؤل عن الأهداف التي عمل من أجلها جمال عبد الناصر (مصرياً وعربياً ودولياً) وهل هي صالحة الآن وللمستقبل، مع المراجعة طبعاً في الأساليب والوسائل التي اعتمدت في حقبة زمنية مختلفة وفي ظروفٍ دولية لم تعد قائمة الآن.

٤: النظرة إلى جمال عبد الناصر كقائد تحرّرٍ قومي عربي جسّد في حقبة زمنية محدّدة مجموعة أهداف مشتركة بين العرب، حقّق بعضها وما زال الكثير منها لم يتحقّق بعد.

٥: النظرة إلى الحقبة الناصرية كتجربة عربية مميزة في القرن العشرين جمعت بين أهداف ووسائل حيث التمييز ضروري في مجال التقييم والتقويم بين: ضرورة عدم التراجع عن الأهداف، وضرورة المراجعة في الأساليب ونقدها وتقويمها.

٦: التعامل مع عبد الناصر حيث انتهى هو في مرحلة نضوج الثورة والدولة والشخص والفكرة (حقبة ما بعد ٦٧)، وليس الحكم عليه عبر اختيار عشوائي من مراحل التجربة.

***

أخيراً، فإنّ "الناصرية" هي كلمة تحمل الكثير من المعاني -وأحياناً المضامين المتناقضة وسط من يحملونها كتسميةٍ لهم- وقد رفض عبد الناصر نفسه استخدامها كتعبير (أي الناصرية).. لكن رغم ذلك، إذا كانت هناك قناعة الآن لدى العرب بأهمية بناء نهضة عربية شاملة تصون وحدة المجتمع في الأمّة العربية، وتُحصّن الوحدة الوطنية في كلّ بلد عربي وتعمل من أجل بناءٍ ديموقراطي سليم وتنمية اجتماعية واقتصادية، وتعمل أيضاً من أجل تكامل الوطنيات العربية واتحادها مستقبلا على أسس سليمة، فإنّ "الناصرية" في هذا المنظار تُصبح تجربةً مهمّة في التاريخ العربي المعاصر، نستفيد من إيجابياتها ونسعى إلى عدم تكرار سلبياتها. ونكون أيضاً أوفياء لأهدافها العربية الكبرى التي بدأت قبل عبد الناصر ويجب أن تستمرّ بعده.

جمال عبد الناصر اعتمد على أسلوب التجربة والخطأ محاولا خدمة هذه الأمّة العربية وخدمة شعبها وخدمة وطنه مصر ومحيطها العربي والإفريقي والإسلامي (كما قال ناصر عن الدوائر الثلاث التي تحيط بمصر: العربية، الإفريقية والإسلامية)، حيث كانت مصر وستبقى نقطة الارتكاز في هذه الدوائر الثلاث، إنْ صلح أمرها صلحت أوضاع الدوائر، وإن اختلّت فيها الأمور والموازين اختلّت الدوائر كلّها.

وإذا كان الذي يجتهد ويُصيب يُكافأ بأجريْن، ومن يجتهد ويخطئ له أجر واحد، فإنّ الحكمة في ذلك هي الحضّ والحثّ على الاجتهاد وعلى عدم الركون والرضوخ للواقع وما فيه من جمودٍ وتقليد، فإنّ عبد الناصر بهذا المعيار له حسنات عديدة.. لأنّه لم يجتهد فقط فكرياً ونظرياً بل جاهد بحياته وعافيته من أجل العرب كلهم، فجرحه الأول كان في فلسطين ونوبة القلب الأولى أصابته بسبب الانفصال الذي حدث في سورية يوم ٢٨ أيلول/سبتمبر عام ٦١، وإذا بالإرادة الإلهية تجعل يوم موته هو أيضاً ٢٨ أيلول/سبتمبر، ومن أجل صون الدماء العربية والفلسطينية التي كانت تُهدر في شوارع الأردن.

***

إن الوفاء سمة عربية وقيمة أخلاقية ودينية، وأعتقد أنّ من أدنى واجبات الوفاء أن نُكرم هذا البطل التاريخي الذي -بمعيار الوطنية المصرية- حقق الكثير من الإنجازات لمعظم شعب مصر، و-بمعيار القومية العربية- فإنه أكّد وحدة أبناء هذه الأمّة رغم المحاولات كلّها التي قامت بها القوى الكبرى في مطلع القرن من أجل تجزئتها وتفتيتها ...

وبمعيار القيم الدينية والخلقية، فإنّه كان حاكماً وقائداً نزيهاً ونظيفاً وزاهداً بالحياة الدنيا، فلم يعش حياة الثراء والبذخ وتوزيع مناصب الحكم على العائلة (كما حصل ويحصل في تجارب أنظمة عسكرية بدأت بشعارات ثورية وتستمر بحكم العائلة للأوطان وثرواتها).

فرحمة الله تعالى على جمال عبد الناصر الذي جمع في شخصيته بين الإيمان بالله وبين العمل الصالح من أجل الإنسان العربي أينما كان.

*مدير "مركز الحوار العربي" في واشنطن

Email: alhewar@alhewar.com

http://www.alhewar.com

عن ذكرى رحيل جمال عبد الناصر

في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، مات جمال عبد الناصر.

مات ناصر بعد أيامٍ طويلة من التعب والسهر المتواصل لوقف سيلان الدم العربي في شوارع الأردن بين الجيش الأردني والمنظمات الفلسطينية، ومن خلال جهد قام به ناصر لجمع القادة العرب في قمّة طارئة بالقاهرة ..

مات ناصر وهو يحاول وقف انهيار التضامن العربي الذي بنى هو أساساته في مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧، والذي توقفت بعده الصراعات العربية/العربية وبدأ السعي لبناء تضامنٍ عربي مقاتل ضدّ العدو الإسرائيلي .

مات ناصر وهو يسعى جاهداً لتحويل هزيمة عام ١٩٦٧ منطلقاً لبناء وضعٍ عربي أفضل ومن أجل التحرير والتقدم والتكامل بين العرب .. مات وهو يبني جيشاً استطاع بعد أشهرٍ قليلة من هزيمة ٦٧، أن يبدأ استنزافاً عسكرياً شديداً للعدو الإسرائيلي، وأن يعدّ الخطط التي أدّت إلى انتصار حرب تشرين/أكتوبر عام ١٩٧٣ ..

اليوم، نجد واقعاً عربياً مغايراً .. سقطت وتسقط فيه إرادة التحرر والاستقلال في الأمّة لتحلّ محلّها أولويّات الحرص على الحكم لا الوطن، واقعاً عربياً يدّعي الانتصار فيه من هم أولاً وأخيراً أصحاب المسؤولية عن حال التردّي والتراجع والانهزام.

اليوم تتحقّق في المنطقة العربية الأهداف السياسية كلّها التي كانت مطلوبة إسرائيلياً ودولياً من حرب ٦٧، وقد منع عبد الناصر من تحقيقها عقب الهزيمة ..

اليوم تسقط الأولويّات جميعها التي بناها جمال عبد الناصر ردّاً على هزيمة عام ٦٧، ولا بدّ للعرب التنبّه إليها وردم الـهوّة التي انحدرنا إليها بفعل تجاهل أبعادها:

١- عبد الناصر أدرك هدف حرب ١٩٦٧ الذي أشار إليه وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك موشي ديان والرئيس الأميركي السابق جونسون، بضرورة تخلّي مصر عن أيّ دورٍ عربي وإعادة سيناء لها مقابل ذلك، فرفض ناصر استعادة الأرض عن طريق عزلة مصر وتعطيل دورها العربي التاريخي .. وجاء أنور السادات بعده ليحقّق المطامح الدولية والإسرائيلية في مقايضة الأرض بالعزلة عن طريق معاهدة كامب ديفيد.

٢- عبد الناصر أدرك مخاطر الصراعات العربية/العربية التي كانت سائدة قبل حرب ٦٧، فأوقف تدخل الجيش المصري في اليمن وأقام "تحالف المدفع والنفط" الذي تأكّدت أهميّته في حرب عام ١٩٧٣.

.. واليوم نجد أنّ النظام العراقي يحتفل كلّ عام بذكرى "انتصاره" المزعوم بعد غزوه لبلدٍ عربيّ نفطي صغير مجاور .. هذا الغزو الذي صدّع البناء العربي كلّه عام ١٩٩٠ فعطّل دور "المدفع" العراقي في المعركة الأساسية مع العدو الإسرائيلي، وعطّل دور "النفط" العربي في عمليّة دعم القتال ضدّ العدو وفي التنمية العربيّة الشاملة المطلوبة، وبرّر للقوى الدولية الكبرى كلّها العودة إلى السيطرة على المنطقة من الباب الأمني الواسع والذي ما زال مشرّعاً على مصراعيه. فالمسؤول عن ذلك ما زال حاكماً يدّعي "الانتصار" بينما شعبه يعاني الذلّ والقهر والجوع والخوف والشّرذمة.

٣- عبد الناصر أدرك بعد حرب عام ١٩٦٧ أهميّة وجود كيان فلسطيني مقاتل، فدعم انطلاقة الثورة الفلسطينية وقيادتها لمنظمة التحرير الفلسطينية رافضاً إقامة "فصيل فلسطيني" خاص تابع له (كما فعلت حكومات عربيّة أخرى) انطلاقاً من حرصه على وحدة الشعب الفلسطيني وعلى توحيد جهود هذا الشعب من أجل استعادة وطنه، فإذا بقيادة هذه المنظمة تُحوّل قضيّة شعب إلى مصالح "فصيل" وتختار حلّ مشاكلها الذاتية (السياسيّة والماليّة) على حساب حلّ مشكلة شعب فلسطين، وتُسلّم خطوةً بعد خطوة بالمطالب الأميركية والإسرائيلية ..

٤- عبد الناصر أكّد بعد حرب عام ١٩٦٧ حرصه على تعميق الوحدة الوطنية في كلّ بلدٍ عربي، وعلى رفض الصراعات الجانبيّة المحليّة التي تخدم العدوّ الإسرائيلي (كما فعل في تدخله لوقف الصراع الداخلي في لبنان عام ١٩٦٨ بعد صدامات الجيش اللبناني مع المنظمات الفلسطينية)، فإذا بالأرض العربية بعد غيابه تتشقّق لتخرج من بين أوحالها مظاهر التفتّت الداخلي كلّها، وكذلك الصراعات المحليّة المسلّحة بأسماء دينيّة أو طائفيّة أو عنصريّة وتبدأ ظاهرة التآكل العربي الداخلي كبدايةٍ لازمة لمطلب السيطرة الخارجية والصهيونية.

تُرى، لو استمرت مصر والأمة العربية على نهج عبد الناصر بعد وفاته.. هل كان حدث ويحدث هذا التراجع والانهيار العربي المتواصل؟

صبحي غندور (ناشر مجلة "الحوار")